مراجعة كتاب

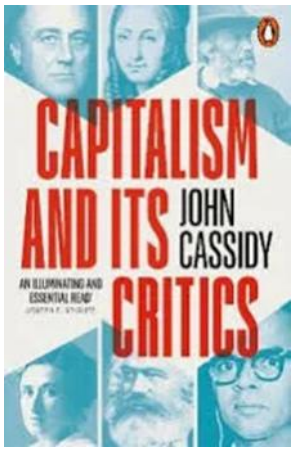

جون كاسيدي: الرأسمالية ونقّادها: دراسة تاريخية من الثورة الصناعية إلى عصر الذكاء الاصطناعي

المراجع: لورنس مالون **

ترجمة: مصباح كمال***

John Cassidy. Capitalism and Its Critics: A History: From the Industrial Revolution to AI. New York: Farrar, Straus and Giroux, 2025. 609 pp. $36 (hardcover), ISBN 978-0374601089.

جون كاسيدي. الرأسمالية ونقّادها: دراسة تاريخية من الثورة الصناعية إلى عصر الذكاء الاصطناعي. نيويورك: فارار، ستراوس وجيرو، 2025. 609 صفحة. 36 دولارًا (غلاف مقوى)، ISBN 978-0374601089.

يقدّم كتاب جون كاسيدي **الرأسمالية ونقّادها** إسهامًا مهمًا في أدبيات تاريخ الفكر الاقتصادي. فهو يسلّط ضوءًا جديدًا على بعض الأسماء المألوفة،

مراجعة كتاب

ويعرّفنا في الوقت نفسه بنقّاد أقل شهرة للرأسمالية عبر القرون الثلاثة الماضية. غير أنّ هذا العمل، على ما يتّسم به من بحث رصين، ليس مجرّد عرض تفسيري لأعمال شخصيات مختارة؛ بل تأتي فصوله مرتّبة ترتيبًا زمنيًا، وفق محورين منظِّمين: توثيق صعود الرأسمالية وانتصارها، وإبراز الأصوات التي كشفت عن مثالبها في اللحظة التاريخية التي كتبت فيها.

تُقدّم الفصول شروحًا تاريخية مُفصّلة مصحوبة بتحليل نظري مُحكم. هذه سمات مميزة لعقود من المقالات القيّمة التي نشرها المؤلف في مطبوعات واسعة الانتشار. وقد لاقت أعماله في هذه المجالات اهتمامًا واسعًا من الأوساط الأكاديمية والعامة على حدٍ سواء، وهي سمة بارزة في هذا الكتاب الجذاب. كل فصل عبارة عن مقال مُحكم التفكير يتناول ناقدًا مُحددًا، مُدعّمًا بتفاصيل تاريخية ثرية.

في تقديمه لهذه المجموعة، اختار كاسيدي مسارًا قائمًا على تصوير الأفراد بدلًا من طرح وتفسير مدارس الفكر النقدي. ويتضح هذا النهج في المقدمة: "هذا ليس تاريخًا اقتصاديًا تقليديًا. فرغم احتوائه على مناقشات حول أرقام الناتج المحلي الإجمالي واتجاهات الأجور والتطورات التكنولوجية، فضلًا عن بعض التاريخ السياسي، إلا أنه يركز بشكل أساسي على حياة وأعمال كتّاب ونقاد فرديين." (ص5)

مراجعة كتاب

يهدف كاسيدي من خلال هذا العمل إلى أن يُنظر إليه كتاريخ للرأسمالية من منظور نقدي من قِبل باحثين متخصصين. وهذا تناقضٌ صعب، لكن كاسيدي ينجح في تحقيقه بتأكيده على مرونة النظام نفسه.

يمكن اعتبار الفصول المتعلقة بإنجلز وماركس جوهر الكتاب. تُرسّخ الفصول والمواضيع السابقة الزخم التطوري للرأسمالية، مع ظهور المزيد من العواقب السلبية في أعقابها. يمثل إنجلز وماركس نقطة تحول، حيث تنبأ الأخير بحتمية الانهيار النظامي. تُبرز الفصول اللاحقة قدرة النظام على التكيف والاستمرار والتوسع بفضل دعم الدولة ومختلف المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وتبرز أهمية الدولة في اللحظة الحاسمة عندما يُوضح كينز أن الرأسمالية تحتاج إلى إنقاذ بين الحين والآخر. ويعود هذا التناقض في نهاية الكتاب في مناقشة كاسيدي للأزمة المالية العالمية لعام 2008.

يمكن تقييم اختيار النقاد المعاصرين في الفصول الأخيرة من خلال أحد أمرين: إما أن كاسيدي واجه صعوبة في اختيار منظّرين يضاهون مكانة نظرائهم في الحلقات السابقة، أو أنه اختار تكريم بعض الشخصيات الأقل شهرة من الخمسين عامًا الماضية. ومن هؤلاء نيكولاس جورجيسكو-رويجن Nicholas Georgescu-Roegen، وسيلفيا فيديريتشي Silvia Federici، وستيوارت هول Stuart Hall، وداني رودريك Dani Rodrik. يُعد جورجيسكو-رويجن شخصية بارزة في الصحوة البيئية في أوائل سبعينيات

القرن العشرين. تربط فيديريتشي استغلال المرأة في المنزل بالتركيز الماركسي التقليدي على استغلالها في مكان العمل من خلال حركة "أجور العمل المنزلي" غير المعروفة على نطاق واسع. يدمج هول قضايا العرق والطبقة في إطار ماركسي، بينما يُسلط رودريك الضوء على العواقب السلبية للعولمة.

بينما يستند نقد ماركس للرأسمالية في كتابه **رأس المال**، المجلد الأول إلى التصنيع وتزايد نسبة رأس المال الثابت إلى رأس المال المتغير في مكان العمل، فإن اختيار كاسيدي للنقاد المعاصرين يُلقي ضوءًا جديدًا على مدى دقة تعقيد مشاكل الرأسمالية. ومع ذلك، فإنه يُكرّم شخصية بارزة أخيرة في الفصل قبل الأخير، وهو توماس بيكيتي Thomas Piketty، مؤلف كتاب **رأس المال في القرن الحادي والعشرين** الضخم.

في عملٍ بهذا الحجم، يبرز دائمًا سؤالٌ حول النقاد الذين استحقوا مجرد الإشارة إليهم، أو الذين غابوا تمامًا. ويبرز من بين المجموعة الأولى جوزيف شومبيتر Joseph Schumpeter، الذي لا يُذكر اسمه إلا نادرًا عندما يكون الناقد المذكور أحد طلابه. أما الغائبون، فيشملون أسماءً مثل سوزان دي برونهوف Suzanne de Brunhoff، وفيكتوريا تشيك Victoria Chick، ونعوم تشومسكي Noam Chomsky، وديفيد هارفي David Harvey، وروبرت هايلبرونر Robert Heilbroner، وإي. كيه. هانت E.K. Hunt، وإرنست ماندل Ernest Mandel.

مراجعة كتاب

مع ذلك، يمكن التغاضي عن أي قصور بالاعتراف بأن كاسيدي قد ترك لنا عملاً رائعاً، حيث تُشكّل أجزاؤه مجتمعةً عملاً متكاملاً قائماً بذاته كمقالات مستقلة. لا حاجة لقراءة كتاب **الرأسمالية ونقادها** على عجل في جلسات قليلة، بل يمكن التمعّن في فصوله ومواضيعها والاستمتاع بها. ولا شك أن المهتمين بأصول الرأسمالية ومسارها، وكذلك بنظرياتها النقدية، سيعودون إلى هذا العمل القيّم بين الحين والآخر.■

حاشية على مراجعة كتاب الرأسمالية ونقّادها لجون كاسيدي

يقدّم جون كاسيدي في كتابه الرأسمالية ونقّادها سردًا واسعًا لتطوّر الفكر الاقتصادي عبر ثلاثة قرون، جامعًا بين أبرز المدافعين عن النظام الرأسمالي وأشدّ معارضيه. ومن منظور ماركسي، يمثّل الكتاب إضافة مفيدة إلى الأدبيات التي تتناول تاريخ الأفكار، لكنه يظلّ أسير مقاربة ليبرالية تعدّدية لا تنفذ إلى البنية العميقة للنظام الذي يتناوله.

يعرض كاسيدي آراء النقّاد—من ماركس إلى فيبلن وصولًا إلى الأصوات المعاصرة—بوصفها مداخل فكرية متوازية، لا بوصفها محاولات لكشف التناقضات البنيوية للرأسمالية. ورغم أنّه يمنح ماركس مساحة معتبرة ويعترف بقوة تحليلاته حول الاستغلال وتمركز رأس المال، إلا أنّه يقدّمه كصوت ضمن طاقم من المفكرين، لا كصاحب نظرية تكشف قوانين الحركة الداخلية للنظام.

يُقلل كاسيدي من شأن نظرية قيمة العمل كإطار علمي، ويتعامل مع الأزمات كظواهر متكررة لا كنتائج حتمية للإنتاج الرأسمالي، ويُصوّر تنبؤات ماركس على أنها "مختلطة"، دون أن يتفاعل بشكل كامل مع الدراسات الماركسية المعاصرة التي ترى أنها تحققت إلى حد كبير في أشكال جديدة (الأمولة، وسلاسل التوريد العالمية، ورأسمالية المنصات).

ماركس لم يقدّم تنبؤات بالمعنى التقليدي بل تحليلًا لبنية النظام الرأسمالي وقوانينه الداخلية. لذلك، حين تتغير الأشكال التاريخية، تبقى الآليات الجوهرية التي وصفها فعّالة، وإن اتخذت مظاهر جديدة. فالأمولة Financialisaton تشير إلى تضخّم القطاع المالي على حساب

مراجعة كتاب

القطاع الإنتاجي، وتحول الشـركات إلى كيانات يغلب عليها الطابع المالي، إضـافةً إلى اعتماد الأسر والدول على الدَّين كوسيلة أساسية لإعادة إنتاج الحياة اليومية. هذه التحولات مجتمعةً هي تجسيد لهيمنة رأس المال المالي التي وصفها ماركس في تحليله المبكر لرأس المال.

سلاسل التوريد العالمية Global Supply Chains اليوم فهي تتوزع على قارات متعددة، حيث تُسـتخرج المواد الخام من إفريقيا، ويجري التصـنيع في آسـيا، بينما تُنجز عمليات التصـميم والتسـويق في أوروبا وأمريكا. هذا التوزيع الجغرافي يجسّـد منطق الرأسـمالية في البحث عن عمل أرخص وأسواق أوسع ومواد أولية أقل كلفة. وترى الدراسات الماركسية الحديثة في هذا النمط تجسيدًا معاصرًا للتوسع الإمبريالي، إذ يُنتج فائض القيمة في الجنوب العالمي بينما تُحقق الأرباح في الشمال.

أما رأسـمالية المنصـات Platform Capitalism فإنها تقدّم شـكلًا جديدًا لاسـتخراج فائض القيمة، إذ تعتمد شركات التكنولوجيا الكبرى على البيانات والخوارزميات وأنماط العمل المشتت، بحيث لا يُنتزع الفائض من العمال فحسـب، بل من المسـتخدمين أنفسـهم، حيث تتحول كل نقرة وصـورة وحركة إلى مادة خام قابلة للبيع. ويرى بعض الباحثين في هذا التحول نوعًا من "التسـييج الرقمي" Digital Enclosure الذي تُحوّل فيه الشـركات المجال العام إلى ملكية خاصة، في تكرار معاصر لعمليات "نزع الملكية" التي وصفها ماركس. (راجع مقالات د عادل مطلوب المنشورة في موقع الشبكة)

قيمة الكتاب تكمن في وضـوحه وسلاسـة عرضـه، وفي إبرازه نقّادًا أقل شـهرة ممن سـاهموا في تشـكيل الوعي النقدي تجاه الرأسـمالية. لكنه، في المقابل، يخفّف من وطأة العناصـر التي يعدّها التحليل الماركسـي أسـاسـية لفهم صـعود الرأسـمالية: الاسـتعمار، العنف الطبقي، دور الدولة في فرض علاقات الملكية، وتحوّل العمل إلى سلعة.

وفي فصوله الأخيرة، يتناول كاسيدي اقتصاد الذكاء الاصطناعي والمنصّات الرقمية، محذّرًا من اتسـاع الفجوة الاجتماعية وتعاظم قوة الشـركات التكنولوجية. غير أنّه يعالج هذه الظواهر كإشكالات سياسية قابلة للإصلاح، لا كمرحلة جديدة من تراكم رأس المال تقوم على استخراج البيانات وإعادة تشكيل العمل البشري.

في المحصّلة، يقدّم كاسيدي كتابًا غنيًا وسـهل القراءة، يصـلح مدخلًا ممتازًا للقارئ العام. لكنه، من منظور ماركسـي، يظلّ أقرب إلى تاريخ للأفكار منه إلى تحليل للنظام نفسـه، ويقدّم نقد الرأسمالية بوصفه "وجهة نظر" لا بوصفه قراءة تكشف تناقضاتها البنيوية. (منقول من مصادر مختلفة-المترجم)

مراجعة كتاب

* جون جوزيف كاسيدي صحفي ومؤرخ اقتصادي بريطاني أمريكي. يعمل كاسيدي كاتباً في مجلة نيويوركر، ويساهم في مجلة نيويورك ريفيو أوف بوكس، وكان سابقاً محرراً في صحيفة صنداي تايمز اللندنية ونائباً لرئيس التحرير في صحيفة نيويورك بوست.

** لورانس مالون (https://www.hartwick.edu/people/laurence-malone/) أستاذ فخري في الاقتصاد في كلية هارتويك Hartwick College. من بين مؤلفاته كتاب "آدم سميث: المختارات الأساسية" (بالاشتراك مع روبرت هيلبرونر، دار دبليو دبليو نورتون، 1986) وكتاب "فتح الغرب: التحسينات الداخلية الفيدرالية قبل عام 1860" (دار غرينوود للنشر، 1998).
Laurence Malone (https://www.hartwick.edu/people/laurence-malone/) is Professor Emeritus of Economics at Hartwick College. His publications include The Essential Adam Smith (with Robert Heilbroner, W. W. Norton, 1986) and Opening the West: Federal Internal Improvements Before 1860 (Greenwood Press, 1998).

*** مصباح كمال، كاتب في قضايا التأمين

يمكن قراءة النص الإنجليزي للمراجعة باستخدام هذا الرابط:Capitalism and Its Critics: A History: From the Industrial Revolution to AI – EH.net

Copyright (c) 2026 by EH.Net. All rights reserved. Published by EH.Net (April 2026). All EH.Net reviews are archived at http://www.eh.net/book-reviews

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر.
http://iraqieconomists.net/ar/